المحاضرة السابعة

شرح كتاب الإبانة الصُّغرى للإمام ابن بطة رحمه الله تعالى

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا المصطفى محمدًا عبد الله ورسوله، وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي نبينا مُحمدٍ رسول الله - صلى الله عليه وسلم –، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالةٍ في النار، نستكمل بحول الله وقوته رحلتنا في مدارسة (الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة) للإمام ابن بطة العكبري الحنبلي –رحمه الله وطيّب ثراه -. نحن في صفحة (٧٦) وتُعتَبر خُلاصة الجزء الأول من أجزاء الكتاب حيث قال :

قال الشيخ رحمه الله :" قد أتينا يا أخي ــ رحمك الله ونفعنا وإياك بالعلم، واستعملنا به، ووفقَّنا للسنة، وأماتنا عليها بجملٍ ــ بجُملٍ من أقاويل العلماء وأخبار المصطفى - صلى الله عليه وسلم – **في التحذير والتخويف والإعذار والإنذار من الوقوع في البدعة، وما أُمروا به من التمسك بالسنة والتحفُّظ لها والإقبال عليها، ومُجانبة مَن خالفها، ومُباينة من خرجَ عنها بما اتجه لنا رسمُه وسهُل علينا ذكره مما في بعضه كفايةٌ وغِنًى لمن أحبَّ اللّهُ** - عزَّ وجلَّ - **خيره، وكان بقلبه إذْ أحياه ".**

الشرح:

قد أخذنا نقاطًا مهمة جدًّا جدًّا أنَّ باب التحذير من البدعة والتمسُّك بالسنة لابد فيه من التحذير من البدعة وإسقاط كل هذه الآثار المرفوعة والموقوفة وما دونها عن السلف الماضين - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم -، ولابدَّ في ذلك كله من التفريق بين النوع والمعيَّن؛ لأن القاعدة واحدة، وهي أنّك عندما تتعرّف على الكفر الذي هو نقيض الإيمان، وعلى الشرك الذي هو نقيض التوحيد، وعلى البدعة التي هي نقيض السنة، وعلى الفسوق والعصيان اللذان هما نقيض الاستقامة، فلابدّ أنْ تفهم أن هذه

المحظورات الشرعية فرق بين القانون الكُليّ الذي جاء به القرآن وجاءت به سنة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وبين إسقاطه على المعيَّنين، وخصوصًا ممَّن ثبت إسلامه، وصح إيمانه، يعني ثبت إسلامه بيقين، وثبتت براءته في الجملة من البدع بيقين، أو هو على السلامة والسنة قي الأصل.

فعندما أحكم بنقله من الإسلام إلى الكفر، أو من التوحيد إلى الشرك، أو من السنة إلى البدعة، أو من الطاعة إلى الفسوق والعصيان، فلابد في ذلك كله من استيفاء شروط وانتفاء موانع، فكل مارُوي عن السلف- رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم - مِن أنّ مَنْ قال كذا فقد كفر، أو من قال كذا فهو ضال، أو من قال كذا: فلا تجالسوه فلا تكلموه، فليس منا، فإنا نقاطعه، إنا نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نحكي كلام هؤلاء، كل هذا لابدَّ فيه من (التفريق بين النوع والمعين) كما نُقل عن شيخ الإسلام–رحمه الله- وهو يترجم منهج أهل السنة في باب التعامل؛ وذلك لأننا عندنا إشكالية فالباب النظريّ شئ والباب العملي شئ آخر، فأنت لابدّ أنْ تأخد الدراسة من جهتين : من جهة التنظير العملي تفهم ماهية القانون الذي اعتمده أهل الإسلام والسبيل والسنة، وكيفية تطبيقه، وكيفية النزول به على أرض الواقع والتعامل به مع الناس، أما اقتصارك على الكتاب في تعاملك مع خلق الله فإنه يوقعك في مشاكل كثيرة.

سنبدأ في الجزء الثاني من أجزاء الكتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، وقد عنون له بعنوان : (العقيدة والتوحيد)، هنا تحت عنوان تمهيد صفحة (٧٩)، إذ يقول :

" ونحن الآن ذاكرون شرحَ السنة ووصفها وما هي في نفسها، وما الذي إذا تمسّك به العبد ودانَ اللهَ به سُمِّي بها واستحقّ الدُّخول في جُملة أهلها، وما إنْ خالفَهُ أو شيئًا منه دخل في جُملة ما عِبناه وذكرناه وحذرنا منه من أهل البدع والزّيغ ممَّا أجمع على شرحِنا له أهل الإسلام وسائر الأمة مُنذ بعثَ الله نبيه - صلى الله عليه وسلم – **إلى وقتنا هذا".**

هذا التمهيد مهم ودقيق ومختصر وسهل، فهو يريد أنْ يقول بأنَّ السنة مبدئيًّا هنا ليست بمعنى التي هي نقيض الفرض أو مقابل الفرض أو الواجب، فالسنة في عرف الأصوليين والفقهاء مقابل الواجب؛ أمَّا السنة التي هي في مقابل الضلالة أو الغواية أو غير سبيل المؤمنين، أو ما خالف منهج النبي محمد - صلى الله عليه وسلم – فإنه يشمل رقم واحد (المنهج، والاعتقاد، والملة) وبعد ذلك تأتي الأشياء

التبعية، وعليه فإنّه سيتكلم في هذا الجزء عن السنة بمعنى (المنهج، والاعتقاد، والملة)، وليس السنة بمعنى المستحب فخطأ كبير أن تخلط بين المصطلحات، فالسنة في مصطلح الأصوليين والفقهاء غير السنة في مصطلح المحدثين، وغير السنة في مصطلح أئمة العقائد –رحمهم الله- هذه نقطة.

أمَّا النقطة الثانية فإنه يقول بأنه سيذكر هنا ما تتمسّك به فتستحق اسم السنّيّ، وإذا خالفته دخلت في جملة ما عداه، وفي الفصل السابق كنا نقول إنّ المبتدعة فيهم وبهم وكلام كثير، فقد أخذنا ست حلقات في ذم البدعة وأهلها، فمتى الإنسان لما يقع في شيء يكون كالذي قيل عنه ذاك؟ هل كل مُخالفة لسنة النبي - صلى الله عليه وسلم – وإن سماها العلماء بدعة تدخل في الذي ذكرناه؟ لا ، فهو يريد أنْ يقول هنا كلامًا قريبًا نستطيع أن نُصوغه صيغة ثانية، فمتى يمكن الحكم على فصيلٍ معيّن بأنه من أهل البدعة الذين ذمهم الله ورسوله وأهل الإيمان والإسلام من القرون الأولى؟ وما الذي فعلوه ليكونوا مبتدعة على بعضهم هكذا؟ ومتى لا يجوز الانتماء إليهم ولا الدفاع عنهم ولا السير في سبيلهم، ولا ترويج أقوالهم ولاطباعة مؤلفاتهم... إلى آخره؟

فهذا الذي قد سمعته من تساؤلات فيمَن يكون؟ نقول : الكلام هذا ذكره الإمام الشاطبي –رحمه الله- وهو يتكلم عن حديث النبي محمد - صلى الله عليه وسلم –: "ستفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة - وفي رواية على ثلاث وسبعين ملة - كلها في النار إلا واحدة"، فهنا نريد أنْ نعرف ضابط الحكم على تجمُّع بعينه، ومتى تجعله مخالفته واحدًا من جملة الثلاثة والسبعين هؤلاء؟ يعني يخرج من دائرة أهل الإسلام والسنة والسلامة العامة تلك وينتقل لفرقة من الفرق النارية التي قال فيها النبي - صلى الله عليه وسلم – : "كلها في النار إلا واحدة"، سنقول : وذلك بمخالفة أهل السنة في أصلٍ كليّ، وما هي الأصول الكلية؟ وما هي الأصول تميّز أهل السنة في باب الاعتقاد، وفي باب مناهج الاستدلال، وفي باب السلوك والموقف من المخالف، وفي باب التديُّن بجملته؟

وأهل السنة لهم ملامح رئيسيّة - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم -، وقضايا كلية يتوارثها أهل السنة عبْر الأجيال ، فالذي يُخالف في هذه القواعد الكلية فقد خرج، ولكنه مازال مسلمًا إلا أنّه خرج من دائرة أهل السنة إلى دائرة أهل البدع، فهنا أصبح في جملة أهل الوعيد الأخروي وليس الدنيوي، وهم في الدنيا - أي أهل البدع - لهم حقوق المسلمين العامة إلا أنه إذا تحقق وصف البدعة في شخصٍ ما

انسحبت أدلة الزجر وأدلة الهجر بقانون المصلحة والضوابط الشرعية في شخصه دون غيره؛ وذلك لأجل أن نفهم هذا الكلام؛ لأن المشكلة الكبيرة جدًّا حيث يكون بيني وبين الناس ورقة وأتعامل مع الناس من خلال السطور متخفِّيًا في الحبر ولا أفهم الواقع كيف هو ، فهناك مرحلة بينية بين مرحلة الأوراق والأشخاص والبشر، فهناك قانون يضبطني فأفرق بين النوع كقضية وبين المعين كشخص.

فما هي القضايا الكلية التي مَنْ خالف فيها خرج من دائرة أهل السنة والجماعة؟ هي قضايا مشهورة ومعلومة وكلنا نحفظها، وسنذكر أشهرها والتي تُعتَبَر محطات رئيسة نستطيع أن نَزِنَ بها أيَّ فصيل ثانٍ، هل هو داخل أهل السنة أو خارجها؟ سنقول من ذلك:

١. الأولى: المخالفة في قضايا الإيمان الكلية، وخصومنا الخوارج والمعتزلة والمرجئة بدرجاتهم.
٢. الثانية: المخالفة في قضايا الصفات الإلهيّة، وصفات الرب جلَّ وعلا، هذا باب من الأبواب العظيمة وقضية من القضايا الكلية عند أهل السنة والجماعة، والمخالف فيها إما أنَّهم معطِّلة وإمَّا أنَّهم ممثِّلة وبينهم دركات، يعني كثيرة ومتعددة.
٣. الثالثة: المخالفة في قضايا القضاء والقدر، وخصوم أهل السنة في هذا الباب الجبريّة والقدريّة.
٤. الرابعة: المخالفة في قضايا الإمامة والخلافة، والخصوم فيها الشيعة من جهة والخوارج من جهة.
٥. الخامسة: المخالفة في قضايا الاستدلال ومصادر التلقِّي، وكل أهل البدع الاثنين والسبعين أو الثلاثة والسبعين أو أكثر أو أقل مخالفون لأهل السنة في هذه القضية، ولايوجد فصيل من أهل البدع إلا وخالف أهل السنة في أصلٍ من أصول الاستدلال، مثل: من أين تتعرّف على الحق، ومن أين تأتي بدينك، ومن أين تُقيم شريعتك وملتك ، من أين تأتي؟

عندنا مدرستان كبيرتان جدًّا قد فصَّلنا فيهما القول بفضل الله، ومن تيسير ربنا علينا أن استعملنا في هذا الباب العظيم في سلسلة بعنوان: (مناهج الاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة) في (مائة وخمسين حلقة) والكلام سهل، فنقول هنا :المخالفة في قضايا الاستدلال ومصادر التلقِّي، فأهل البدعة كلهم مخالفون لنا، وهما مدرستان كبيرتان: المدرسة الخرافية، والتي ألف فيها بعض مشايخنا كتابًا مفردًا بعنوان (أصول بلا أصول)، وهو كتاب جامع تقف فيه على أول هذه الجماعة وآخرها، والمدرسة الثانية:

الأهوائية، فأهل الأهواء هم أصحاب الفلسفة والمناطقة والمتكلمين على شتَّى مشاربهم، فإذنْ أنا عندي الخرافية والأهوائية، وهذه تسميّة اصطلاحية ولا مشاحّة في الاصطلاح.

وعليه سنجد في الخرافية الشيعة والصوفيّة في ركن وحدهم، وفي الأهوائية سنجد على رأسهم الجهميّة ثم المعتزلة والمفوضة، ونجد الأشاعرة والكلابية والماتردية إلى آخرهم، وبعد هذا عندنا المخالفة في خصوص حجية السنة النبوية، فالسنة أصلًا مصدر من مصادر التلقّي والتشريع أم أنَّ القرآن يكفينا؟! فبعض الضالين من أول طائفة القرآنيين مرورًا بأهل البدع مخالفون لنا أيضًا في حجية الاستدلال بسنة النبيّ - **صلى الله عليه وسلم** –، خاصةً في قضية (حديث الآحاد وحجيته في أبواب الاعتقاد) ثم تأتي بعد ذلك المخالفة في (حجية الإجماع والقياس على الخصوص) فهناك مَن أبطل حُجّيّة الإجماع تمامًا، وهذه المخالفة شذوذ أصولي يؤدي إلى بدع كثيرة جدًّا ، فرغم أن المخالفة في الإجماع وحده لا تُخرِج من دائرة أهل السنة والجماعة وأنها مسألة فيها أخد ورد لكن نتائجه سيئة للأسف الشديد، كما أنَّ فض القياس في الجملة يؤدي إلى الجمود والتحجر، وإلى حمل القرآن على غير وجهه الذي أنزله الله - عزَّ وجلّ - عليه بلسانٍ عربيٍّ مبين، ثم تأتي بعد كل هذا المخالفة في قضايا الخلاف، ثم الموقف من المخالف.

أنا الآن أسير جيِّدًا لكن من الممكن أنْ تجد وسط دائرة أهل السنّة إنسانًا مغاليًا جدًّا في الموقف من المخالف واقتفى في ذلك أثر الخوارج، فهو لم يكفِّرهم لكنه عاملهم معاملة الكفار، فسمَّاهم مبتدعة وعاملهم معاملة الكفار، وبدَّع كل شاذَّةٍ وفاذَّة، وهناك مَنِ استوفى الشروط وانتفت الموانع، أو غيره ويجدونها سبيلًا للتبديع وهم غلاة المبدِّعة، ومن الناحية الثانية : نجد مِن الناس مَنْ هو متهاونًا جدًّا في في قضايا الخلاف، فلديه نوعٌ من التسيُّب، وسنجد قواسم مشتركة من الخلاف وأنت نازل، في القواعد الكلية ومراعاة المصلحة في القضية، فهناك مِن الناس مَنْ غالى في المصلحة جدًّا حتى قدموها على كل نصٍّ وإجماع وقياس جليّ .

فرقم واحد في الاستدلال لديهم المصلحة، وطبعًا كل واحد وميزانه في المصلحة، وهذه القضية فتحتْ بابَ شر كبير على مصراعيه والذي هو المروق من الشريعة وقيود التديُّن والتعبُّد لله سبحانه وتعالى، رغم أنّه من الممكن أنْ يكون الذي اخترع هذه المسألة، أو وقع في هذا الطريق لا يقصد هذا نهائيًّا،

لكنه كما يُقال لا يُجنى من الشوك العنب، فأنت مَنْ زرعت الحنظل فماذا نفعل لك فلابد أنْ تطرح الحنظل في نهاية الأمر، فأنت مَن وسَّعت مجال المصلحة جدًّا، وجماعة الليبرو الإسلامي كلهم مرتبثين بهذه القضيّة ولا يعرفون مثلًا من الشريحة المتوسطة من علماء السنة والجماعة والمشاهير من محققي أهل العلم غير الإمام الطوفي مثلًا، لماذا؟ وذلك لقضية المصلحة، التي سبب أزمة من الأزمات الكبيرة؛ والتي بحاجة ماسّة للانضباط؛ لأنها مسألة الانحراف فيها صعب جدًّا، والذي من الممكن أن يؤدي لكثير مِمَّن لم يفقه فقه المسألة إلى المروق من الشريعة بالكليّة.

ونجد عند الآخرين مسألة المصلحة مرفوضة تمامًا وعملوها صنم مصلحة الدعوة وصنم العجوة وإلى آخره، وهذه كل التيارات الصداميّة سائرة على قانون إهدار المصلحة من بابها، فهذه قواعد كلية، والدين مبنيٌّ على المصالح في جلبها والدرء للقبائح، هذه تعتبر عامود فسطاط الإسلام، فمسألة المصلحة في باب الاستدلال والنظر في مقاصد الشريعة ماذا يريد منَّا الإسلام؟ وهل مُراد الله أو مرادنا؟ كيف هو الأمر؟ فقانون المصلحة قانون حساس جدًّا، فعدم فهم هذه المسائل سيوقعنا في كثير من المشكلات، فكل هذه المسائل تؤدِّي المخالفة فيها إلى المخالفة في قاعدة كلية من قواعد أهل السنة والجماعة، ومن القضايا المعاصرة قضايا الحكم والتشريع وقد أفردنا لها رحلة طويلة، ونحن لدينا المدرستان: فهناك جماعة متهاونين جدًّا باسم الإسلام وهم الليبرو إسلاميك، وجماعة هم غلاة التيارات الصدامية وهم التكفريّون بشتَّى مذاهبهم.

إذنْ هنا يقول ابن بطة:" **ونحن الآن ذاكرون شرح السنة ووصفها وما هي في نفسها، وما الذي إذا تمسّك به العبد ودانَ الله به ــ أي تديَّن لله به ـ سُمِّيَ بها**(أي : متى يكون الإنسان سُنِّيًّا؟ عندما يلتزم هذه الأصول ونظائرها) **واستحق الدخول في جملة أهلها وما إنْ خالفه أو شيئًا منه دخل في جملة ما عِبْناه وذكرناه وحذرناه من أهل البدع والزيغ مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة"** وهو بذلك يريد أنْ يقول المسائل الكليّة التي أجمع عليها أهل الإسلام جيلًا بعد جيل مَنْ خالفها كان خلافه شاذًّا قد يصل إلى حد المروق من دائرة أهل السنة إلى دائرة أهل البدع، ومن المؤكد أنَّنا نعلم أنَّ من البدع ما هو مُكفِّر لكنَّ هذا ليس بحثنا ، هيَّا بنا ندخل في الكتاب، فالمسألة الأولى تحت عنوان : (الإيمان)، قال:"

فأول ما نبدأ بذكره من ذلك :

٢٤٠- ذكر ما افترض الله ـ عزّ وجلّ ـ على عباده وبعثَ به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنزل فيه كتابه وهو الإيمان بالله عزّ وجلّ ــ فماذا يعني الإيمان بالله عزَّ وجلَّ وما معنى أنَّني مؤمن بالله؟ وما معنى أنَّه يطلب منك أن تحقق الإيمان بالله؟ ـ يقول : **الإيمان بالله : التصديق بما قاله وأمر به ــ** فإذًا واجبٌ عليَّ أن أعلم ما قاله وأعرف ما أمر به ثم أصدقه؛ وذلك لأنَّ المعرفة مرحلة قبل التصديق، فأعرف أولًا، فلا يُعقَل أنْ أصدق شيئًا لا أعرفه؟ فلابد من المعرفة أولًا؛ لذلك ربنا فرض علينا العلم وفرض علينا القراءة، فرض علينا لنعرف وبعد أن نعرف نُصدق ـ **وأمر به وافترضهُ ونهى عنه، من كل ما جاءت به الرُّسل من عنده ونزلت فيه الكتب، وبذلك أرسل الله المرسلين فقال عزّ وجلّ:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ الأنبياء: ٢٥، – ماذا يريد أن يوصل لنا من خلال الآية؟ يقول لنا: إن أول واجبٍ على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد، فقط وصلت الرسالة، لماذا هنا نتكلم في الإيمان؟ لأن المقصود الإيمان بالله توحيده سبحانه وتعالى بكل معاني التوحيد، في معاني الربوبية، معاني الإلهية، خصائص الأسماء والصفات التي لايشركه فيها أحدٌ من خلقه سبحانه وتعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ – يا محمد إلَّا أمرناهم وأوحينا إليهم بهذه الرسالة : التزموا في أنفسكم وأؤمروا الناس وورثوها في أجيالكم – نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) لاإله إلا أنا هذا توحيد الإلهية، هذا متكئ على قاعدة التوحيد النظري ألا وهو : توحيد الربوبية الإيمان بأحقية الله سبحانه وتعالى وانفراده بالخلق والرزق وبالتدبير، انفراد الله عز وجل بالملك والسيادة والتشريع هذه حجر الأساس، فأتعرَّف من خلالها على هذا الإله الذي انفرد بهذه المعاني، أتعرف على أسمائه وصفاته، فيسوقني قطعاً إلى إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة دون من سواه، والحمد لله قد أخذنا جولة في توحيد العبادة ١٢ حلقة مع كتاب التوحيد ومسائله لشيخ الإسلام ابن عبد الوهاب –رحمه الله- .

٢٤١- والتصديق بذلك قولٌ باللسان، وتصديقٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان. فالإيمان عندنا ليس مجرد المعرفة كالجهمية، الإيمان عندنا ليس مجرد التصديق اللساني كالكرامية، ولامجرد القول باللسان وعقد الجنان وخلاص كجمهور المرجئة.

٢٤٢- يزيده كثرة العمل والقول بالإحسان، ويُنقصه : العصيان ، يعني حينما أعمل حسناً كثيراً أقول حسناً كثيراً، ما المردود ؟ إيماني سيزيد، لما أقول معصية أو لما أعمل معصية ماذا سيحصل؟ الإيمان سينقص، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا الكلام الحمد لله أخذناه في مسائل الإيمان ١٥ حلقة، رتب رصيدنا السابق؛ وتجد نفسك عندك قواعد أساس لست بحاجة لتقفَ كثيرًا مع الكتاب بفضل الله سبحانه وتعالى.

وله أولٌ وبدايةٌ، ثم ارتقاءٌ، وزيادةٌ بلا نهاية. قلنا إن من قواعد أهل السنة والجماعة : الإيمان أصلٌ وكمال هذه الأول والبداية، الأول والبداية يعني أصل الإيمان الذي دونه العدم، ماذا هو؟ النطق بالشهادتين واعتقاد بالإسلام إجمالاً ، فإذاً أول الإيمان : النطق باللسان بشهادة التوحيد : لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** – ، هكذا سلمت ظاهراً، فإن قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم وأعراضهم وحسابهم على الله، إن عقدت بها قلبك الاعتقاد الإجمالي، ثم تأتي التفاصيل بعد ذلك؛ فأنت بذلك سَلِمْتَ في الآخرة، أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيراً قط، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة التمام، وقلنا كمال واجب وكمال مستحب ويكون ذلك بارتقاءٍ وزيادةٍ بلانهاية ، ولذلك نحن قلنا : الإيمان أصل وكمال، يزيد وينقص، ينقص حتى لايبقى منه إلا الأصل، ويزيد إلى مالايعلمه إلا الله من المراتب المستحبة.

قال الله عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ آل عمران: ١٧٣. سؤال : هو قول الناس لك (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ) هل هذا لوحده يزيد الإيمان؟ أم موقفك أنت تجاه القول هو الذي يزيد الإيمان؟ موقفك أنت تجاه القول هو الذي يزيد الإيمان، لأن هذا الذي قيل ممكن أن يهزك، (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) ستعتريك مصيبة، سيأخذونكم جميعًا، لن يتركوا فيكم أحدًا، لن يُبقوا فيكم شاذة ولا فاذة، فأنت تخاف وترتجف، هكذا زدت إيمان أم نقصت؟ نقصت طبعاً، إنما لما تقول (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) وتعتمد بكليتك على الله، وتثق في طريقك الذي سرته إلى الله سبحانه وتعالى هنا تأتي الزيادة، فليس مجرد القول كان منتوجه زيادة، مجرد القول مع رد الفعل الإيماني المناسب بالثبات والثقة والاعتماد على حول الله وقوته (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) تطلع النتيجة (فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).

وقال الله عز وجل ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ المدثر: ٣١، وهذا نص كالشمس أن الإيمان يزيد.

وقال تبارك وتعالى ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ الفتح: ٤،

٢٤٣- **وقال معاذ بن جبلٍ لرجلٍ** – من الصحابة – **: اجلس بنا نؤمن ساعة**، – يعني نزيد الخزان قليلا، فهم مؤمنون وأهل إسلام ، لكن سنقعد بجوار مستودع نأخذ منه ذكر وعبادة وقراءة قرآن، ماذا كانوا يعملون؟ يقرأ بعضهم القرآن والباقي يسمع فقط، هذه مجالس الزيادة هذه مجالس السماع السني الرحماني، وليس السماع البدعي الشيطاني، فأهل البدع أيضاً اجلس بنا نسمع ويقعد يسمع قصائد ويبكي ويقطع ملابسه، ويترنح ويتمرغ ويسمونها مجالس السماع، أهل السنة لهم مجالس سماع : سماع القرآن، الرجل يقرأ والباقي يسمع، مجالس التجويد والتحقيق والترقي في كتاب الله، التفسير والفهم والعلم والتعليم كل هذه مجالس سنية، هذه مجالس النبي محمد - **صلى الله عليه وسلم** – ، مجلس جبريل مع النبي - **صلى الله عليه وسلم** – جاء وقال له قصائد؟!! جبريل مع النبي - **صلى الله عليه وسلم** – ما الذي عمله ؟ ما الإسلام؟ والنبي - **صلى الله عليه وسلم** – يجيب، ماالإيمان؟ والنبي - **صلى الله عليه وسلم** – يجيب ، ماالإحسان؟ والنبي - **صلى الله عليه وسلم** – يجيب ، وأشراط الساعة؟ والنبي - **صلى الله عليه وسلم** – يجيب ، والنبي - **صلى الله عليه وسلم** – يقول : جاءكم جبريل يعلمكم أمور دينكم، وهذا مجلس سماع، على الهواء كل الصحابة يرون نموذجًا عمليًا أمامهم، والنبي - **صلى الله عليه وسلم** – يقول للصحابة : تسمعون ويُسمع منكم ويُسمع ممن سمع منكم، هذه هي مجالس السماع خاصتنا، سماع حديث النبي - **صلى الله عليه وسلم** – ، لايوجد أمة أبدًا دونت تُراث نبيها - **صلى الله عليه وسلم** –، على أدق صورة من صور العناية والرعاية أكثر من أمة النبي صلوات الله عليه، في القرون الأولى الصحابة ومن تبعهم ومن تبعهم - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم - .

يقول : **كان معاذ يقول لرجل من أصحابه : اجلس بنا نؤمن ساعة**، – كيف نتحصل الإيمان في مجالسنا؟ قرآن، ذكر، النصيحة، العلم، التعليم، العبادة، الصلاة، القرآن، إلى آخره – **قال : يعني : نذكر الله فنزداد إيماناً، وكل شيءٍ يزيد فهو ينقص**. وهذه دلالة منطقية جداً جدًا، كل شيء قابل للزيادة فهو قابل للنقصان، طبيعي ليست بحاجة لأن أدلل عليها بأكثر من إنه

طالما قابل للزيادة فهو قابل للنقصان، على الأقل كون إنه قابل للزيادة فيكون قبل أن يزيد ناقصًا، كان أقل من بعد أن يزيد، ليس بحاجة إلى حسابات.

٢٤٤- قال : ثم الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول الرجل : أنا مؤمن إن شاء الله.

وهذا بحث لم ندرسه قبل ذلك بما يُناسبه، فأنا جئت لكم اليوم كلام من عند شيخ الإسلام –رحمه الله- ، في المجلد السابع من كتاب الإيمان الأصل وليس من المختصر للشيخ الذهبي –رحمه الله- ، سنأخذ بحثًا في الاستثناء في الإيمان وأقوال أهل السنة، أو مذاهب الناس فيه من كلام شيخ الإسلام –رحمه الله- ، لماذا أنا تطرقت على البحث رغم أن الكلام مختصر؟ لأننا لم نطرق هذا الباب بهذا بالتفصيل هذا غير في سلسلة قضايا الإيمان والكفر، وغير مشهورة وأيضاً البحث طويل كانوا ٣٠ حلقة فلأجل أن يذهب له الطالب سيتوه فنأخذ خلاصة

قال الإمام رحمه الله : فصلٌ ؛ وأما الاستثناء في الإيمان بقول الرجل : أنا مؤمنٌ ان شاء الله– يجوز أم لا يجوز هذه طاعة هذه معصية هذه سنة هذه بدعة، هذا له علاقة في منهج أهل السنة خارج الصندوق هذا الموضوع ما هي القصة؟ – الكلام هذا من المجلد السابع الذي هو كتاب : الإيمان الكبير، الأصل والطبعة التي معي طبعة دار الوفاء بالمنصورة صفحة ٢٦٥ المجلد الرابع، الفصل، ويقول: **وأما الاستثناء في الإيمان بقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، فالناس فيه على ثلاثة أقوال** – يقصد الناس المسلمين كلهم أهل القبلة، لأن هذا من اختلافات المصلين، لأن هذا اختلاف داخل دائرة الإسلام يعني هو ليس إسلام وكفر، هو سنة وبدعة ويجوز ولايجوز هكذا البحث – **قال :منهم من يوجبه** – يعني من بعض طوائف أهل القبلة من يوجب الاستثناء، لا بد أن تقول أنا مؤمن إن شاء الله – **ومنهم من يحرمه** – إياك أن تقول أنا مؤمن إن شاء الله، لاحظ قدر الخلاف، عكس بعضه تماماً، فهل نأخذ بالأحوط وخلاص؟ لا، طالما حرام وواجب فلايوجد أحوط، فأنت ستحتاط لترك الواجب أم ستحتاط لفعل الحرام؟ لايوجد حيطة، فيجب أن تأخذ بالقول الصواب فقط، حتى في مسائل فقهية هكذا وقد أشرنا إليه في مسائل الخلاف – .

فهنا أول مذهب : من يُوجب القول أنا مؤمن إن شاء الله، لا يجوز أن يقول أنا مؤمن ويسكت، لازم يقول إن شاء الله، هذه مدرسة، وسنعرف من هم هؤلاء، أهل سنة، أهل بدعة، خاصتنا أم ليسوا

كذلك – ومنهم من يحرمه، **ومنهم من يُجوز الأمرين باعتبارين، وهذا أصح الأقوال.** – يقول : يجوز أني أقول أنني مؤمن إن شاء الله، ويجوز أن أقول أنا مؤمن فقط، لكن هذا باعتبار وهذا باعتبار، وهذا أصح الأقوال، **فالناس في هذه المسألة طرفان ووسط**، ونحن دائماً نحرص أن نكون من الأمة الوسط ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣، ليس أي حاجة في النص وفقط، فلا هو وجوب ولا تحريم، يجوز وقلت كما لم تقل، لكن باعتبار وهذه هي الاعتبارات التي سيطرحها شيخ الإسلام والبحث طويل جدًا، لكن أنا فقط أشير على مدخله وتفهم ماهية المسألة، وأعطيك الخلاصة

قال : فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم – يعني من لفَّ لفَّ هؤلاء في مسائل الإيمان، ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه، كالتصديق بالرب جل وعلا ونحو ذلك مما في قلبه، إذا كان الإيمان يساوي التصديق، واحد يقول : أنت مُصدق بالله أم لا؟ تقول له أنا مصدق بالله إن شاء الله؟ إن شاء الله هذه فيها ريبة، عين في الجنة وعين في النار، فإذاً يجب أن تقول: أنا مصدق فقط، فهم يحرمون القول بالاستثناء، تقول أنا مصدق، إياك أن تقول إن شاء الله، ولذلك مرجئة الفقهاء من الحنفية أيضاً نفس المسألة عندهم مسألة تحريم الاستثناء في الإيمان، على مر التاريخ أو في المراحل الأولى عند فتنة الإرجاء والخوارج، يعني نهاية بني أُمية وبداية بني العباس والحرب مستعرة في هذا المجال، فكان التمثيل الفقهي للفكر الإرجائي في هذا الباب : الحنفية، وكان يمثل مذهب أهل السنة في الجملة في هذا الباب الشافعية، فحصلت الأزمة بين الحنفية وبين الشافعية في مسألة : هل يجوز للحنفي أن يتزوج شافعيةً ؟ فالحنفية يحرمون الاستثناء، يقول لازم تقول أنا مؤمن قطعاً هكذا، الشافعية في هذا الوقت يوجبون الاستثناء، لازم تقول أنا مؤمن إن شاء الله، هل تعلم كيف أنت عند الله؟! هل تعلم كيف سيُختم لك ، هذا باعتبار.

فالشافعية الذين يوجبون الاستثناء أو يجوزه بعضهم كما سنرى في التفصيل، عند الحنفية شكاكين، عند الحنفية الذين هم أصلاً جذورهم مرجئة، هكذا أصبحت النتيجة واحد إيمانه مقطوعٌ به والثاني إيمانه مشكوكٌ فيه، هل يجوز أن تتزوج واحدة إيمانها مشكوك فيه؟!؟ قول لي المسألة هكذا وأنا أقول لك يجوز أم لا يجوز، فأَفتَى جمهور الحنفية في ذلك الوقت وهم المتأخرون بذلك الفكر بحرمة زواج الشافعية من الحنفي، ومرت الأيام على هذا وأيام وأيام جاءت إلى أن جاء عصر إمام من أئمة الحنفية

يلقبونه: مفتي الثقلين، يعني هذا الرجل يفتي للجن وللإنس، هذا إمام حنفي لقبه مشهور معروف، فجوز نكاح الشافعية من الحنفي تنزيلاً لها منزلة أهل الكتاب، فيجوز ذلك تخريجاً أو تنزيلاً لها على منزلة أهل الكتاب، رأيت إى أي حد وصلت المسألة ؟!

فمن الذين يُحرمونه؟ المرجئة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً، يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالرب جل وعلا ونحو ذلك، مما يعلمه الإنسان في قلبه، فيقول أحدهم: أنا أعلم أني مؤمن، كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين، وكما أعلم أني قرأت الفاتحة، وكما أعلم أني أحب الله و رسوله، وكما أعلم أني أبغض اليهود والنصارى، فقولي: أنا مؤمن، كقولي: أنا مسلم _ عند من؟ عند الجهمية والمرجئة ومن مشي على قاعدتهم – ، **وكقولي : أنا مسلم، وكقولي: تكلمت بالشهادتين، وكقولي: أنا أبغض اليهود والنصارى، ونحو ذلك من الأمور الحاضرة التي أنا أعلمها وأقطع بها من نفسي، وكما أنه لا يجوز أن يُقال: أنا قرأت الفاتحة إن شاء الله، أنا أُحبُّ الله ورسوله إن شاء الله، أنا أبغض الكفر والكافرين إن شاء الله، فلايجوز أن أقول أنا مؤمن إن شاء الله ، لكن إن كان يشك في ذلك فيقول: فعلته إن شاء الله، قالوا: فمن استثنى في إيمانه فهو شاكٌ فيه وسموهم الشكاكة** –ليست الشكاكة التي تغز فيها نفسك لينزل الدم، الشكاكة هذه جمع تكسير جمع شكاك، كالشكاكين مذكر سا لم ،– قال : **والذين أوجبوا الاستثناء لهم مأخذان : الأول : أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، لأن الرجل يعمل الدهر بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، أو قال شبر، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، فإذاً هذا لو قال أنا مؤمن في الدنيا ومات على عمل أهل النار! فأين الإيمان؟! فهنا يقول : أن الإيمان هو مامات عليه الإنسان** – والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً وكافراً، باعتبار الموافاة،_ لأنه لو عاش عمر نوح مسلمًا، ثم كفر في آخر لحظة حبط عمله كله، لو عاش عمره كافرًا وأسلم آخر لحظة غُفر له ماتقدم من ذنبه وغفر الله عز وجل له ظاهر ذنوبه وباطنها.

يقول : وأكثر قدمائهم يقولون: إن الرضى والسخط والغضب ونحو ذلك، صفات _صفات لله سبحانه وتعالى _ ليست هي الإرادة – ودخل في مسألة أن الإنسان الذي حال طاعته بغض النظر عن خاتمته، يعني واحد يعلم الله عز وجل منه أنو سيموت كافرًا، حال إسلامه ربنا يحبه على إسلامه

أم باعتبار العاقبة ربنا يكرهه؟ كلام الأشاعرة ربنا يعلم الخواتيم فلو هو صام وصلى وأذاب حصر الجامع صلاة وجاهد مع النبي - **صلى الله عليه وسلم** – مبغوض عند الله لأنه سيموت كافراً، وهذا كلام خطير جداً وتفصيلة صعب الآن، لكن أنا أعطيك إشارة، وبالعكس : إنسان عاش طول عمره محاربًا لله وللرسول وكارهًا للإسلام والدين والتوحيد، ورأس في الضلالة ولكن يعلم الله منه أنه يوافي على الإسلام، قال لك ربنا كان يحبه وهو كافر، كيف؟!! فالإشكالية عندهم أن مسألة المحبة والرضا والسخط أساساً كصفات لله، الدنيا ليست متزنه عندهم فكان في خلل في باب الأسماء والصفات.

يقول : قالوا : والله يحب في أزله من كان كافراً إذا علم أنه يموت مؤمناً.عياذاً بالله، وضربوا مثال وقالوا: الصحابة ما زالوا محبوبين عند الله حال كفرهم – يعني عمر بن الخطاب وهو يبعد الأصنام كان محبوبًا لله عز وجل، وأبو بكر وهو كان لايعرف ربه فوق السماء، أم تحت الأرض كان محبوباً لله عز وجل، وهذا كلام خطير جدًا، وشيخ الإسلام كل سطر من هذه السطور كان له تحته رد كثير، ولكن لن أقرأ لك البحث كله، أنا أفتحه لك؛ حتى إذا قرأت تعلم ماذا تقرأ وتفهم المسألة.

قال : والذين فرقوا من هؤلاء قالوا: نستثنى في الإيمان رغبةً إلى الله أن يثبتنا عليه إلى الموت، _ يعني أنا لما أقول أنا مؤمن إن شاء الله يعني يا ربي اجعلني هكذا إلى أن أموت، _ **ومأخذ هذا القول طرده طائفة ممن كانوا في الأصل يستثنون في الإيمان اتباعاً للسلف رضي الله تعالى عنهم،** _ لأن السلف - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم - موقفهم في باب الاستثناء الجواز باعتبار ، ليس الوجوب ولا التحريم، فأنا عندي هنا الآن الموجبون للاستثناء قالوا أيضاً النظر باعتبار الموافاة، نعم لكن أنا أتكلم عن الآن، إذا قلنا أنا مؤمن أقصد به مسلم فلازم أقطع ، وإذا قلت أنا مؤمن باعتبار الموافاة أقول إن شاء الله، هذا مختصر المسألة وإشارة، وبحث شيخ الإسلام ابن تيمية بحث جميل جداً جداً جداً ورائع في هذه المسألة وشيخ الإسلام –رحمه الله- أفاض وأجاد في هذه المسألة.

٢٤٤- قال : ثم الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول الرجل : أنا مؤمن إن شاء الله

_فهنا معنى كلمة الاستثناء في الإسلام ما حكمه عند الإمام ابن بطة –رحمه الله- ؟ الذي هو من تلامذة أحمد ، وجوب الاستثناء تحريم الاستثناء، التجويز باعتبار؟ التجويز باعتبار، يعني يجوز أن أقول أنا مؤمن إن شاء الله باعتبار النظر إلى الموافاة، ويجوز ان أقول أنا مؤمن على سبيل البت والقطع

باعتبار ما أعلمه من نفسي أني مؤمن، عندي أصل الإيمان، لست كافرًا لا أشك ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ الحجرات: ١٥.

٢٤٥- قال : كذلك كان يقول عبد الله بن مسعود وبه أخذت العلماء من بعده، مثل : علقمة والأسود وأبي وائل ومسروق ومنصور ومُغيرة وإبراهيم النخعي والأعمش وحماد بن زيد، ويزيد بن زُريع وبشر بن المُفضل ومعاذ بن معاذ، وسُفيان بن حبيبٍ وسفيان الثوري وابن المبارك والفضيل بن عياض في جماعةٍ سواهم يطول الكتاب بذكرهم.

قال : وهذا استثناءٌ على يقينٍ ، قال الله عز وجل (﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ الفتح: ٢٧، سؤال : هل النتائج عند ربنا فيها ذرة احتمال؟ المستقبليات بالنسبة لرب الأرض والسماوات فيها احتمال؟! يعني ممكن أنقل لا في علم الله؟! كل الأشياء في علم الله قطعية ولما ربنا ينبئ النبي نبوءة، والنبوءة لابد أن يكون مقطوع بها وليس ممكن نعم وممكن لا، (﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ الفتح: ٢٧، إذا الآن قول الله لنبيه (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) : هذا تأكيد باللام وبالنون المشددة وبالواو القسم وبالقسم المضمر في قوله والله لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، إذاً تأكيد بالواو، بلفظ الجلالة، وباللام، وبالنون المشددة (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) ومع كل هذه التأكيدات ومع كل القطع من الخبر الإلهي قال (إِنْ شَاءَ) فهل يوجد إشكال أني أستثني رغم أني أتكلم عن إيمانٍ هو مقطوع به؟ لا يوجد إشكال.

٢٤٦- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني لأرجو أن أكون أتقاكم لله عز وجل.

إذًا هو هناك شك أن النبي - صلى الله عليه وسلم – أتقى الأمة؟! أتقى الإنس والجن جميعاً؟! - صلى الله عليه وسلم – ، ومع ذلك النبي تكلم في باب الرجاء، وهذا من باب الأدب مع الله سبحانه وتعالى .

٢٤٧- قال : وقد اجتاز بالبقيع صلى الله عليه وسلم فقال: {السّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، أنتم السَّابقُون وإنّا إِنْ شَاءَ الله بكُمْ لاحِقُون} هل وارد أن النبي - صلى الله عليه وسلم – لا يموت؟! ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الزمر: ٣٠ – يعني ستذهب إليهم ستذهب إليهم، إذاً لماذا قال : إن شاء الله؟ تحقيقاً لا تعليقاً، ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية لما كان في حرب

التتار كانوا في رمضان والناس مشغولة في وحوي ياوحوي والكنافة والقطايف، وتاركين التتار محتلين بلاد المسلمين ويقطعون في رقاب الناس، فنادى فيهم بالجهاد وكانوا في رمضان وصائمين، فالناس خائفة، وطبعاً كان وضعًا منحطًا للغاية، كان الراجل التتري يخرج من الحانة والخمارة سكران ويترنح، وليس معه سيف؛ فيلاقي مسلمًا في الشارع فيقول له ابقَ مكانك إلا أن آتي بسيف لأذبحك، ويظل واقفًا مكان إلا أن يأتي بالسيف ويذبحه، منتهى الانحطاط، ومع ذلك في ذلك الوقت يُنادي شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بالجهاد ويقول : نُقاتلهم وننتصر، فيقولون : إن شاء الله، يقول : بل نُقاتلهم وننتصر، قل فقط إن شاء الله! لا تقاطع يعني، يقول : نُقاتلهم وننتصر، فبالثالثة قال : إن شاء الله، تحقيقاً لاتعليقاً، كمثل (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) _ إني لأرجو أن أكون إن شاء الله أتقاكم لله عز وجل في بعض طرق الحديث ، {وإنَّا إنْ شاءَ اللَّهُ بكُمْ لاحِقُونَ}.

قال : فهذا كله استثناءٌ على يقين، ولكن يجب على كل من يستثني أن يعلم كيف يستثني، ولأي سببٍ وقع الاستثناء؟ _ يريد أن يقول : أن مذهب أهل السنة في هذا الباب له اعتبارات التي أشار إليها شيخ الإسلام رحمه الله وطيب ثراه، يريد أن يقول أنه يوجد جزء مجهول في مسألة الإيمان؟! نعم الموافاة فأنا لاأعرف كيف أوافي، فلو قلت إن شاء الله على هذا المعنى أهلاً وسهلاً، الإيمان عندنا أصل وكمال، أنا أصلاً لا أعرف في أي مراتب الكمال وهل إيماني ناقص أم زائد، ولو زائد فإلى أي حد؟ فباعتبار ما أجهله من مرتبتي عند الله الآن أنا لا أعرف، لكن سآخذ في أسباب الكمال، لكن لا أعرف هل قبلت، لم تقبل، رُدت، لم ترد، أنا عند ربنا كامل الإيمان أم ناقص أنا لا أعرف، لكن آخذ في الأسباب.

قال : لكن يجب على كل من يستثني أن يعلم كيف يستثني ولأي سببٍ وقع الإستثناء، لئلا يظُنُّ المخالف أن استثناءَهُ من قبل الشك. _ فأنت تتكلم على موجة وصاحبك يستقبل على موجة ثانية، فيجب علينا أن نعمل توحيد مقامات، لا تأتي أمام أحد ممن يحرم الاستثناء وتقول له أنا مؤمن إن شاء الله ،أو عند من يوجبه وتقول له أنا مؤمن ولن أقول إن شاء الله، أتقطع لنفسك بالخاتمة، وتفتري على الله سبحانه وتعالى، وبتفتات على علم الله السابق بما الخلق عاملون، البحث غير معمول لذلك.

٢٤٨-قال : فقد كان سفيان الثوري وابن المبارك يقولان: الناس عندنا مؤمنون في المواريث والأحكام _أحكام الدنيا الظاهرة، هل أضعهم على هذه المشيئة ؟ يعني واحد مؤمن سيتوارث مؤمنا، يقول لك سنورثهم من بعض أم ندخلهم في ملف إن شاء الله، يورثه أم لايرثه؟ _ **الناس عندنا مؤمنون في المواريث والأحكام** _ واحد نطق بالشهادتين ولم نعلم عنه ديناً غير دين الإسلام؛ مسلم، يقولك : إذاً نضعه تحت الاختبار، لا تضعه تحت الاختبار، إذاً نتجسس عليه يمكن أن يكون يكفر سرًا، أنت ليس من حقك هذا (وَلَا تَجَسَّسُوا) أنت تقبل منه ظاهره علانيته _، **ولاندري كيف هُم عند الله عز وجل، ولاعلى أي دينٍ يموتون.** _ يعني بالنسبة للنظر في الموافاة فنحن لانعرف، بالنسبة للنظر لأحكام الدنيا نعم طبعاً هو عندي مسلم أعطاني أحكام الإيمان الظاهر، فهو خلاص انا سأتعامل معه على هذا.

قال : لأن الإستثناء واقعٌ على مايُستقبل، لأن قول العبد : أنا مؤمن إن شاء الله معناه : إن قبل الله إيماني، وأماتني عليه، بمنزلة رجلٍ صلى صلاةً فقال : قد صليتُ وعلى الله القبول. _ يعني من ناحية الإيمان ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾ آل عمران: ١٩٣، قطعوا أم ترددوا؟ قطعوا ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ آل عمران: ١٩٣، يعني اقبله منا واجعلنا أهلا للمغفرة، اقبله منا واجعلنا أهلا للموافاة على البر والإيمان، إذا فمعناه : إن قبل الله إيماني وأماتني عليه، هذا المعنى معنى كلمة إن شاء الله، إن قبل الله إيماني وأماتني، هذه حيثية تجوز الاستثناء _،**بمنزلة رجلٍ صلى صلاةً فقال : قد صليتُ وعلى الله القبول.**

وكذلك الحج وكذلك الصيام، عمل عملاً صالحاً فإنما يقع استثناؤه فيه على الخاتمة والقبول، قبول الله إياه، لا أنه شاكٌ فيما قد قاله وعمله، _ يعني لو واحد قال لك : هل توضأت، ستقول له إن شاء الله توضأت، يعني أنت لست تدري أم لا، إن شاء الله كيف؟! أنا إسألك على الماضي هذا خلص مضى وانقضى، لايوجد احتمالات إنه لم يحصل هذا حصل وخلاص، أتوضأت؟ نعم توضأت، صليت؟ نعم صليت ، قُبلت صلاتك؟ أسأل الله أن يتقبل، قبل وضوءك؟ أسأل الله أن يتقبل، رُفع حدثُك؟ نعم لايوجد كلام في هذه ، لأن رفع الحدث قصة، وقبول ثواب الوضوء ومغفرة السيئات قصة ثانية، أنا أتكلم على الصحة والفساد، أتيت بشروط

الصحة وضوئي صحيح، مقبول عند الله؟ لاأعلم فأنا أخذت بأسباب القبول، ولاأعرف أقَبِلَ ربنا أم لا؟ قال : **وقد يُرى الرجل يصلي، فيُقال له :صليت؟ فيقول : نعم إن قُبلت** ــ يعني ستبقى الصلاة التي هي عند الله بموضع لما تقبل، أما من جهة فعلي أنا فعلت.

ثم يضع ملفًا تحت عنوان : "الإسلام وعلاقته بالإيمان"، طبعاً هذه التبويبات من عمل المحقق وليست لغة المؤلف، **٢٤٩- قال : ثم بعد ذلك :أن تعلم أن الإسلام معناه غيرُ الإيمان، (فالإسلام) : اسمٌ، ومعناه الملة، و(الإيمان) :اسمٌ ومعناه التصديق.** ــالإسلام : اسم من الأسماء الشرعية، ما معنى الإسلام؟ الملة، الإيمان اسم من الأسماء الشرعية، ما معناه ؟ التصديق ، هذا في الجملة فالتصديق له تفاصيل ــ **قال الله عز وجل** ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ يوسف: ١٧، يريد **وما أنت بمصدقٍ لنا،** ــ ويكاد يكون هناك إجماع من أهل اللغة على أن الإيمان هو التصديق لغةً ، لكن نحن نتكلم عن بحث الإيمان شرعاً، هناك قاسم مشترك بين المعنى الشرعي والمعنى اللغوي، نعم قاسم قوي جداً لأن، كما قال الإمام : الإيمان تصديق باللسان والجنان وعملٌ بالجوارح والأركان، إذا شرعاً داخل فيه التصديق أم لا؟ نعم داخل فيه معنى التصديق ــ **قال : والآيُ في صحة ماقلناه كثيرٌ ومنه** ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ الحجرات: ١٤، وإن السلف رضي الله تعالى عنهم في هذه الآية لهم تفسيران، التفسير الأول : نفي الإيمان حقيقةً أصلاً وكمالاً، قل لم تؤمنوا بل أنتم كفار في الباطن، ولكن قولوا أسلمنا لأنكم منافقون، فأعربوا عن حالتكم، هذا تفسير ويمكن هذا مشهور عند بعض الناس ولكن التحقيق الذي اختاره شيخ الإسلام وعزاه للمحققين من السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا) الإيمان الواجب (وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) يعني تحصلنا أصل الإيمان وبرأنا من الكفر والشرك والكفران نعم هذا حصل، أما من جهة الكمال فلم يحصل، بدليل أنهم مرتابون مرتددون ضعفاء يجبنوا عن القتال والهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، (﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ الحجرات: ١٤، هذا معنى المقدرات في الآية.

٢٥٠- قال : ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، ولايخرجهُ إلا الشرك ــ لما النبي صلى الله عليه وسلم يقول : والله لايؤمن، فإذاً خرج من الإيمان، لكن إلى أين؟ إلى الإسلام، وليس

خرج من الإسلام إلى الكفر،أو خرج من الإسلام وركن في منزلة بين منزلتين، خرج من الإيمان ركن في دائرة الاسلام، لماذا؟ لأن مازال ظاهره لم ينتقض بعد، مازال يشهد الشهادتين، مازال يعتقد الدين في الجملة، ومازال ينتمي للإسلام في الجملة، ولم ينتمِ لدين ثانٍ ، فهو من أهل الإسلام ــ . **ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام** ــ بذنوبٍ وكبائر مما قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم : والله لايؤمن، ليس بمؤمن إلى آخره ــ **ولايخرجهُ من الإسلام إلا الشرك بالله** ــ وهذا كلام رائع جداً جداً من محاسن هذا البحث، ما الذي يجعل الإنسان المسلم يكون كافرًا؟ الإشراك بالله، عبادة غير الله، التدين بغير دين الإسلام، هكذا، ويقول لك لا وإلا حصر وقصر ــ **لا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله، أو برد فريضةٍ من فرائضِ الله عز وجل جاحداً بها،** ــ إنما الترك المجرد؟ لا ــ **فإن تركها تهاوناً أو كسلاً كان في مشيئة الله عز وجل، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له** .

وهذه الرواية نقول :رواها ابن بطة في كتاب الإبانة عن الإمام أحمد رحمه الله واختاره صاحب المغني، سمعتموها كثيرًا في الشرح ، نذهب إلى المغني عندي في الطبعة التي معي المجلد الثالث صفحة ٣٥٧ طبعة الملك ابن عبد العزيز تحقيق الدكتور عبد المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو، طبعة بمناسبة مرور مائة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية، يتكلم هنا رأس المسألة التي يتكلم فيها بالمغني كلام الهقي رحمه الله تعالى وطيب ثراه بيقول هنا : رأس المسألة، مسألة ٣٢٧ في ترقيم المغني، مسألة؛ قال : قَالَ: (وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ، وَهُوَ بَالِغٌ عَاقِلٌ، جَاحِدًا لَهَا، أَوْ غَيْرَ جَاحِدٍ، دُعِيَ إلَيْهَا فِي وَقْتِ كُلِّ صَلَاةٍ، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ صَلَّى، وَإِلَّا قُتِلَ)قَالَ : وَجُمْلَةُ ذَلِكَ أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ لَا يَخْلُو؛ إمَّا أَنْ يَكُونَ جَاحِدًا لِوُجُوبِهَا، أَوْ غَيْرَ جَاحِدٍ، فَإِنْ كَانَ جَاحِدًا لِوُجُوبِهَا نُظِرَ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ جَاهِلًا بِهِ، وَهُوَ مِمَّنْ يَجْهَلُ ذَلِكَ، كَالْحَدِيثِ بِالْإِسْلَامِ، وَالنَّاشِئِ بِبَادِيَةٍ، عُرِّفَ وُجُوبَهَا، وَعُلِّمَ ذَلِكَ، وَلَمْ يُحْكَمْ بِكُفْرِهِ؛ ــ هذا اسمه عذر بالجهل ــ لِأَنَّهُ مَعْذُورٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَجْهَلُ ذَلِكَ، كَالنَّاشِئِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَمْصَارِ وَالْقُرَى، لَمْ يُعْذَرْ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ادِّعَاءُ الْجَهْلِ، وَحُكِمَ بِكُفْرِهِ؛ لِأَنَّ أَدِلَّةَ الْوُجُوبِ ظَاهِرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَفْعَلُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ، فَلَا يَخْفَى وُجُوبُهَا عَلَى مَنْ هَذَا حَالُهُ، فَلَا يَجْحَدُهَا إلَّا تَكْذِيبًا لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَهَذَا يَصِيرُ مُرْتَدًّا عَنْ الْإِسْلَامِ، وَحُكْمُهُ حُكْمُ سَائِرِ الْمُرْتَدِّينَ، فِي الِاسْتِتَابَةِ وَالْقَتْلِ، وَلَا أَعْلَمُ فِي هَذَا خِلَافًا. وَإِنْ تَرَكَهَا لِمَرَضٍ، أَوْ عَجْزٍ عَنْ أَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا، قِيلَ لَهُ: إنَّ ذَلِكَ لَا يُسْقِطُ الصَّلَاةَ، وَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى حَسَبِ طَاقَتِهِ. ــ حديث عمران بن حصين في الصحيح وغيره ــ ، وَإِنْ تَرَكَهَا تَهَاوُنًا أَوْ كَسَلًا، دُعِيَ إلَى فِعْلِهَا، وَقِيلَ لَهُ: إنْ صَلَّيْت، وَإِلَّا قَتَلْنَاكَ. فَإِنْ صَلَّى، وَإِلَّا وَجَبَ قَتْلُهُ. وَلَا يُقْتَلُ حَتَّى يُحْبَسَ ثَلَاثًا، وَيُضَيَّقَ عَلَيْهِ فِيهَا، وَيُدْعَى فِي وَقْتِ كُلِّ صَلَاةٍ إلَى فِعْلِهَا،وَيُخَوَّفَ بِالْقَتْلِ، فَإِنْ صَلَّى، وَإِلَّا قُتِلَ بِالسَّيْفِ. وَبِهَذَا قَالَ مَالِكٌ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَوَكِيعٌ وَالشَّافِعِيُّ. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: يُضْرَبُ وَيُسْجَنُ. وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ، قَالَ: وَلَا يُقْتَلُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ ـــ ثم يبدأ؛ قلنا والظاهر من كذا وكذا إلى أن قال : من أدلة القول بعدم التكفير مع الإقرار بالفرضية وإن لم يُصلها قط ـــ

صفحة ٣٥٧ قال : وَلِأَنَّ ذَلِكَ إِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّا لَا نَعْلَمُ فِي عَصْرٍ مِنْ الْأَعْصَارِ أَحَدًا مِنْ تَارِكِي الصَّلَاةِ تُرِكَ تَغْسِيلُهُ، وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ، وَدَفْنُهُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا مُنِعَ وَرَثَتُهُ مِيرَاثَهُ، وَلَا مُنِعَ هُوَ مِيرَاثَ مُوَرِّثِهِ، وَلَا فُرِّقَ بَيْنَ زَوْجَيْنِ لِتَرْكِ الصَّلَاةِ مِنْ أَحَدِهِمَا؛ مَعَ كَثْرَةِ تَارِكِي الصَّلَاةِ، وَلَوْ كَانَ كَافِرًا لَثَبَتَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ كُلُّهَا، وَلَا نَعْلَمُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ خِلَافًا فِي أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ يَجِبُ عَلَيْهِ قَضَاؤُهَا، وَلَوْ كَانَ مُرْتَدًّا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ قَضَاءُ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ. وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الْمُتَقَدِّمَةُ، ـــ مُن تَرَكها فَقَدْ كَفَرَ، فَقَدْ كَفَرَ وَ أَشرَّك،فَقَدْ كَفَرَ أو أَشرَّك ،بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ تَرْكُ الصَّلَاةِ، العهدُ الذي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ تَرْكُ الصَّلَاةِ، وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الْمُتَقَدِّمَةُ فَهِيَ عَلَى سَبِيلِ التَّغْلِيظِ، وَالتَّشْبِيهِ لَهُ بِالْكُفَّارِ، لَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، كَقَوْلِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» . وَكَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُفْرٌ بِاَللَّهِ تَبَرُّؤٌ مِنْ نَسَبٍ وَإِنْ دَقَّ» . وَكَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» . وَكَقَوْلُهُ: «مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» . وَكَقوله: «وَمَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ الْكَوَاكِبِ. فَهُوَ كَافِرٌ بِاَللَّهِ، مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ» . وَقَوْلُهُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» وَكَقَوْلِهِ: «شَارِبُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ وَثَنٍ» . وَأَشْبَاهِ هَذَا مِمَّا أُرِيدَ بِهِ التَّشْدِيدُ فِي الْوَعِيدِ، وَهُوَ أَصْوَبُ الْقَوْلَيْنِ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ، كلام كسلاسل الذهب واضح جداً، وهذا ساق من المذهب الحنبلي للإمام ابن قدامة رحمه الله وطيب ثراه

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُتم علينا رحلتنا في عافيةٍ من أمر ديننا ودنيانا، هذا وصلى الله على نبينا محمد.